IFRC **CashHub**

التحول المصيري: تأثير المساعدات النقدية على رفاهية الأشخاص

دراسة حالة من سوريا

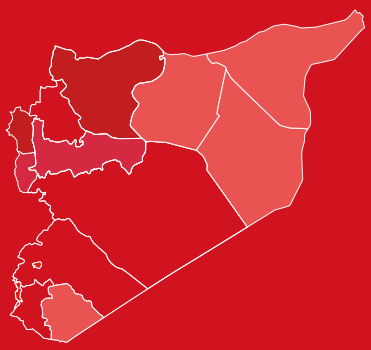

مقدمة: الاستجابة للأزمة

في السادس من شباط/ فبراير ٢٠٢٣، ضربت سلسلة من الزلازل العنيفة المنطقة الحدودية بين جنوب تركيا وشمال سوريا، مخلفةً دمارًا واسعًا في محافظات حلب، وحماة، وإدلب، وحمص، واللاذقية. أسفرت هذه الكارثة عن خسائر بشرية كبيرة، إلى جانب إصابات ونزوح آلاف الأسر. كما أدى انهيار المنازل والمدارس والمرافق الصحية إلى تفاقم الأوضاع، مما جعل المجتمعات المتضررة في أمسّ الحاجة إلى الدعم الإنساني. واستجابة لذلك، قام الهلال الأحمر العربي السوري، بدعم من مختلف الشركاء في المجال الإنساني، بتنفيذ برنامج مساعدات نقدية متعددة الأغراض لإغاثة الأسر المتضررة. **وخلال الفترة ما بين أبريل/نيسان ٢٠٢٣ ويونيو/حزيران ٢٠٢٤، تلقت أكثر من ٦٣,٠٠٠ أسرة، تتألف من حوالي ٢٧١,٠٠٠ فرد، مساعدات نقدية.** وتألفت هذه المساعدات من مساعدة نقدية متعددة الأغراض لمدة ثلاثة أشهر، بناءً على الحد الأدنى للتمويل (MEB)، وحُوّلت كدفعة واحدة بقيمة **٣,١٠٥,٠٠٠** ليرة سورية. تبحث هذه الدراسة في مدى تأثير هذه المساعدة على رفاه المستفيدين.

تعزيز الرفاهة من خلال المساعدات النقدية

تشمل الرفاهة أبعادًا مختلفة، بما في ذلك الظروف المادية، والصحة النفسية والعاطفية، والعلاقات الاجتماعية. وقد وضع الصليب الأحمر البريطاني (BRC) واللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC) مبادئ توجيهية لتقييم أثر المساعدات النقدية والقسائم على هذه الأبعاد. يختلف معنى الرفاهة من شخص لآخر أو من ثقافة لأخرى، لكن يتزايد الإجماع على ثلاثة أبعاد عالمية للرفاهة:

– **الرفاهة الموضوعية** – تتعلق بظروف الفرد المادية.

– **الرفاهة الذاتية** – تتعلق بظروف الفرد الشخصية وطريقة تقييم الفرد لحياته.

– **رفاهة العلاقات** – تتعلق بالعلاقات التي تربط الفرد بالآخرين.

يمكن تقسيم هذه الأبعاد إلى فئات أو مجالات عامة.

مجالات الرفاهية	1. الظروف المادية	2. الصحة	3. السلامة والأمن	4. العلاقات الاجتماعية	5. حرية الاختيار والتصرف
التفاصيل (غير شاملة)	الظروف المادية للفرد، والقدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية، والحصول على ما يكفي من الغذاء، وتوفير الأصول والعمل والسكن والمأوى.	الصحة الجسدية والنفسية، والوصول إلى الخدمات الصحية.	السلامة الشخصية، إمكانية الوصول الآمن إلى الموارد، الحماية أثناء الكوارث أو الوقاية منها، سلامة السكن/المأوى، الأمان في بيئة العمل، والحماية من المخاطر البيئية.	التماسك الاجتماعي، الاحترام المتبادل، القدرة على تقديم المساعدة وتلقيها، والمشاركة في المجتمع.	القدرة على اقتناص الفرص بما يتماشى مع القيم الشخصية، والمساواة في الحقوق بين النساء والفتيات، تكافؤ فرص الحصول على التعليم، حرية اختيار المهنة أو نمط الحياة، وتوفير الوقت والمساحة للأنشطة الترفيهية.

المصدر: توجيهات الصليب الأحمر البريطاني واللجنة الدولية للصليب الأحمر للرفاهية

1. الظروف المادية: تلبية الاحتياجات الأساسية

تتعلق الظروف المادية بالقدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية مثل الغذاء والمأوى والعمل. أثرت المساعدات النقدية التي قدمتها منظمة الهلال الأحمر العربي السوري (SARC) إلى حد كبير على قدرة المستفيدين على تأمين هذه الضروريات.

- **الأمن الغذائي:** لم تقتصر أهمية تلبية الاحتياجات الغذائية على التغذية والحفاظ على الصحة، بل تمتد أهمية ذلك أيضًا إلى تعزيز الكرامة الإنسانية، حيث يتمكن الناس من اختيار ما يشترونه ويأكلونه، ويتمكنوا من الحصول على منتجات ذات أهمية ثقافية، مثل اللحوم والخضراوات وزيت الزيتون، والتي لم يتمكنوا من الحصول عليها لفترة طويلة. علاوة على ذلك، يستطيعوا شراء القهوة والشاي، وهو ما منحهم شعورًا بأن الحياة تسير في مجراها الطبيعي وعزز العلاقات ومكَّن أفراد الأسرة من قضاء وقت معًا أو استضافة ضيوف؛ فإن هذه المساعدات مكَّنت الأسر من تلبية احتياجاتها الغذائية الأساسية لفترة تراوحت ما بين شهرين وثلاثة أشهر تقريبًا، حسب حجم الأسرة وأولوياتها.

> "بعد قضاء فترة في مأوى جماعي، شعرت بالسعادة عند عودتي إلى منزلي وتناولي الطعام التقليدي."
>
> "المساعدة مكنتنا من شراء طعام بجودة أفضل، بما في ذلك الخضروات واللحوم."

- **السكن:** أولَت جميع العائلات المتضررة من الزلزال الأولوية لاستخدام المساعدة في تغطية تكاليف السكن، سواء عبر إصلاح منازلها المتضررة أو استئجار مسكن جديد بعد الإخلاء. كان توفير منزل آمن، من خلال إصلاح المنزل الحالي أو استئجار منزل آخر، أمرًا بالغ الأهمية ضمن أولويات الناس لأن المنزل ليس مجرد مساحة مادية؛ فهو يمنح الناس شعورًا بالانتماء، وقد ساهمت المساعدة في زيادة شعورهم بالاستقرار، حيث استخدم المستفيدون المساعدة النقدية لشراء سلع تُعد مُعمِّرَة (بساط، باب، مصابيح،...). "قبل ذلك لم يكن ضمن أولوياتنا سوى الطعام". كما أن المنزل يعبر عن الأمان، وهو المكان الذي تجتمع فيه الأسر، وقد ساهمت المساعدة النقدية في توفير مكان مناسب للم شمل الأسر.

> "أصبح بإمكاننا الجلوس معًا كعائلة، وتناول المشروبات، والتخطيط لكيفية استخدام المال."
>
> "استخدمت المال لدفع إيجار المنزل لمدة ستة أشهر، والآن أشعر بالراحة وراحة البال."

– **الاستقرار الاقتصادي:** خففت المساعدة النقدية، ولو لفترة محدودة، من الضغوط الاقتصادية التي واجهتها الأسر، مما قلل من اعتمادها على استراتيجيات التكيف الضارة مثل الاقتراض، أو استخدام وقود غير صحي، أو إجبار الأطفال على ترك التعليم من أجل العمل أو التسول. لا شك أن أزمة طويلة الأمد، كالأزمة السورية، أثرت بشدة على الأمن الاقتصادي وقدرة مقدمي الرعاية على تقديم رعاية كافية، ولكن المساعدة ساهمت أيضًا في رضا الآباء عن الدور الذي يؤدونه بصفتهم مقدمي رعاية عندما تمكنوا من توفير الأطعمة المفضلة لأطفالهم أو الحصول على طعام خاص للأطفال الرضع أو حلوى.

> كان رمضان هذا العام نعمة من الله. شعرت بأنني أغنى شخص في العالم لأنني استطعت الاعتناء بأطفالي.

> منحتنا المساعدة النقدية الدافع لننظر إلى الأمام وقللت من توترنا.

2. الصحة: الصحة البدنية والعقلية

تشمل الصحة الحفاظ على الصحة البدنية والنفسية وإمكانية الحصول على الخدمات الصحية. قدمت المساعدة النقدية دعمًا أساسيًا في هذه المجالات.

– **الحصول على الرعاية الصحية:** مكنت الأموال من الحصول على الخدمات الصحية المتخصصة والعمليات الجراحية والأدوية الأساسية. وكان ذلك مهمًا بشكل خاص للأسر التي يعاني أفرادها من إعاقات أو أمراض مزمنة. وتمثل الأدوية عبئاً مالياً كبيراً على الأسر وغالباً ما تكون سبباً في تحملهم لأعباء الديون.

> أهم شيء بالنسبة لي هو أنني تمكنت من إلحاق طفلي من ذوي الاحتياجات التعليمية الخاصة بمدرسة متخصصة.

– **الصحة النفسية:** ساهمت كافة المساعدات بشكل كبير في تخفيف التوتر والضغط النفسي عن المستفيدين، حيث خففت عن كاهلهم الضغوط المرتبطة بتوفير الاحتياجات الأساسية، مما سمح لهم بالتركيز على رفاههم العام.

كما أن المساهمين في التقييم شاركوا العديد من الأمثلة حول مدى مساهمة المساعدة في تحسين الرفاهية الذاتية لجميع أفراد الأسرة:

- زيادة الشعور بالسعادة والراحة النفسية.
- تحفيزهم للنظر إلى المستقبل بتفاؤل.
- تقليل الضغوط المتعلقة بتأمين احتياجات الأسرة الأساسية.
- الشعور بالاستقرار والطمأنينة تجاه الحياة.
- الإحساس بالارتياح لكونهم قادرين على تأمين الغذاء لفترة معينة.
- استعادة الشعور بالكرامة والاحترام بعد سداد الديون.
- تخفيف التوتر والضغط النفسي بعد القدرة على تحمل تكاليف الجراحة أو الرعاية الصحية التي كانت صعبة المنال بالنسبة لهم.
- مشاركة الآباء فرحة أطفالهم عند تمكنهم من شراء ملابس وأحذية جديدة لهم.
- توفير المستلزمات المدرسية (دفاتر، أقلام، حقائب مدرسية، وغيرها) حفّز الأطفال على الاستمرار في التعليم.
- شعر الآباء بالرضا عن أنفسهم عند تمكنهم من إبقاء أطفالهم في المدرسة.

3. السلامة والأمن: ضمان السلامة الشخصية والبيئية

تشمل السلامة والأمن السلامة الشخصية، والوصول الآمن إلى الموارد، والحماية من المخاطر البيئية. يؤثر الإحساس بالأمان على قدرة الناس على الاسترخاء، والتواصل مع الآخرين، وأداء المهام اليومية بفعالية.

- **سلامة السكن:** لم تقتصر أهمية تلبية الاحتياجات الغذائية على التغذية والحفاظ على الصحة، بل تمتد أهمية ذلك أيضًا إلى تعزيز الكرامة الإنسانية، حيث يتمكن الناس من اختيار ما يشترونه ويأكلونه، ويتمكنوا من الحصول على منتجات ذات أهمية ثقافية، مثل اللحوم والخضراوات وزيت الزيتون، والتي لم يتمكنوا من الحصول عليها لفترة طويلة. علاوة على ذلك، يستطيعوا شراء القهوة والشاي، وهو ما منحهم شعورًا بأن الحياة تسير في مجراها الطبيعي وعزز العلاقات ومكَّن أفراد الأسرة من قضاء وقت معًا أو استضافة ضيوف؛ فإن هذه المساعدات مكَّنت الأسر من تلبية احتياجاتها الغذائية الأساسية لفترة تراوحت ما بين شهرين وثلاثة أشهر تقريبًا، حسب حجم الأسرة وأولوياتها.
- **الوصول الآمن للمساعدات:** لم يواجه المستفيدون أي مشكلات أمنية كبيرة عند تلقي المساعدة النقدية. فقد شعروا بالأمان أثناء التنقل إلى نقطة التوزيع، وعند استلام الأموال، وكذلك عند الوصول إلى الأسواق. كما منحتهم المساعدات خيارات متعددة لشراء احتياجاتهم من الأسواق التي تناسبهم.

> إصلاح المنزل كان ضروريًا لضمان الأمان، خاصةً للنساء. لقد ساعدتنا المساعدات النقدية في تحقيق ذلك

4. العلاقات الاجتماعية: تعزيز الروابط الأسرية والمجتمعية

ينطوي كل من السلامة والأمن على السلامة الشخصية، والوصول الآمن إلى الموارد، والحماية من المخاطر البيئية. يؤثر الإحساس بالأمان على قدرة الناس على الاسترخاء، والتواصل مع الآخرين، وأداء المهام اليومية بفعالية.

- **الديناميات الأسرية:** حسنت المساعدات من الديناميات داخل الأسر، مما ساعد على تقليل التوتر وتمكين الأسر من قضاء وقت ممتع معًا، حيث شعر أفرادها بأنهم أقرب لبعضهم البعض. كانت القدرة على شراء الهدايا للأحباء أمرًا بارزًا، حيث انعكس إيجابيًا على الرضا الشخصي والروابط العائلية.
- **الدعم المجتمعي:** عزّز البرنامج روح التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع. وغم بعض التوترات بين الأشخاص الذين يتلقون المساعدة والذين لا يتلقونها، أو الذين يتلقون المساعدة في أوقات مختلفة، فإن ما تم مشاركته بشكل عام كان مشاعر التضامن والمطالبة بدعم أولئك الذين لم يتلقوا المساعدة. في بعض الحالات، تمكن المستفيدون من مساعدة بعضهم البعض والمشاركة في أنشطة اجتماعية، مما ساهم في تعزيز التلاحم المجتمعي.
- **الصورة الإيجابية وثقة التجار:** كان أحد الجوانب المهمة التي أبرزها المستفيدون هو أن المساعدات النقدية ساعدتهم على كسب ثقة التجار الذين يعتمدون عليهم عند الشراء بالدين. سداد الديون عزّز صورة المستفيدين الإيجابية كأشخاص موثوق بهم، مما سهّل عليهم الحصول على تسهيلات ائتمانية في المستقبل.

> أصبحنا نشعر بأننا عائلة مرة أخرى. تمكنت من شراء بعض الحلويات لأطفالي وهدية لزوجتي، وشعرنا أننا مميزون.

5. حرية الاختيار والتصرف: تمكين القرارات

ترتبط حرية الاختيار والتصرف بفرص تحقيق ما يُقدّر الأفراد قيمته، بما في ذلك التعليم والعمل وقضاء وقت الترفيه. منحت المساعدة النقدية المستفيدين مزيدًا من الاستقلالية والقدرة على اتخاذ قرارات هادفة، مما عزز شعورهم بالكرامة نظرًا لزيادة قدرتهم على تحقيق طموحاتهم في المستقبل.

> أقنعت ابني بمواصلة دراسته لأن المساعدة وفّرت لنا ما يكفي لتغطية الاحتياجات الأساسية لبعض الوقت

- **التعليم:** مكنت المساعدات الأسر من الإبقاء على أطفالهم في المدارس، بل وساعدت بعضهم على العودة إلى التعليم. شكل ذلك إنجازًا كبيرًا للعديد من العائلات، إذ يُعَد التعليم أولوية قصوى، وغالبًا ما يكون إخراج الأطفال من المدرسة آخر الحلول التي تلجأ إليها الأسر عند مواجهة الأزمات الاقتصادية.

- **الأنشطة الاقتصادية:** استثمر بعض المستفيدين المساعدات في إطلاق مشاريع صغيرة أو دعم أنشطة مدرة للدخل، بهدف تحقيق الاستقلالية المالية وتقليل الاعتماد على المساعدات الإنسانية مستقبلاً.

> فقدنا الأمل، ثم جاءت المساعدة النقدية وأعادت لنا الأمل من جديد. هناك شيء جيد في هذه الحياة.

> نحتاج إلى فرص عمل، نريد أن نعيش بكرامة دون الحاجة إلى طلب المساعدة.

- **الاحتفالات الاجتماعية:** أتاحت المساعدات النقدية للأسر المشاركة في المناسبات الاجتماعية المهمة مثل رمضان وعيد الفطر، والتي تعد مصدرًا للفرح وتعزيزًا للترابط المجتمعي.

> لم أكن أستقبل أي شخص في منزلي لفترة طويلة لأنني كنت أشعر بالخجل من عدم قدرتي على تقديم حتى كوب شاي. الآن، يمكنني استقبال الضيوف ودعوتهم لتناول الشراب.

> قبل أن تصلنا المساعدة، كنت أعتقد أنني سأقضي رمضان كله أبكي. لكن بعد وصولها، تمكّنا من شراء الطعام والمشروبات للاحتفال.

الخاتمة

مواصلة الرحلة نحو الرفاهية

كان للمساعدات النقدية الإنسانية التي قدمها الهلال الأحمر العربي السوري (SARC) أثرٌ تحوليٌ كبيرٌ على حياة الأسر السورية المتضررة من الزلازل. لم يقتصر تأثير البرنامج على تلبية الاحتياجات الفورية فحسب، بل ساهم بشكل ملحوظ في تحسين الرفاهية العامة للمستفيدين، من خلال تخفيف الضغوط النفسية، وتعزيز الصحة العقلية، وتقوية الروابط الأسرية والمجتمعية. إن نجاح هذا البرنامج يؤكد فعالية المساعدات النقدية في الاستجابات الإنسانية، ويبرز أهمية مواصلة توفير هذا النوع من الدعم خلال الأزمات المستقبلية. وينبغي أن تستند البرامج المستقبلية إلى هذا النجاح، عبر دمج المساعدات النقدية والقسائم (CVA) مع دعم تكميلي لمعالجة الاحتياجات المتعددة الأوجه للفئات المتضررة.

لماذا نقيس الرفاهية؟

يعتمد قياس الرفاهية على نهج يركز على الإنسان، إذ يقيّم كيف تساهم مساعدات النقد والقسائم في تحسين حياة الأفراد بما يتجاوز مجرد تلبية احتياجاتهم الأساسية والجوانب الاقتصادية فحسب، بل يسعى إلى فهم احتياجات الناس وأولوياتهم، وتحديد أفضل السبل لتلبيتها بطريقة شاملة. كما يساعد إثبات التحسن في الرفاهية على إعادة تعريف معايير النجاح، بحيث يتم التركيز على ما يعتبره الناس مهمًا لحياتهم، بدلاً من اتباع نهج يُملي عليهم احتياجاتهم من منظور خارجي. ونظرًا لأن تصورات الرفاهية ترتبط بالمعايير والتفضيلات والعقليات الاجتماعية والثقافية، فإن هذا النهج يمكنه المشاركة في تحديد استجابات أكثر محلية وتكيّفًا مع البيئة المحيطة، إلى جانب رصد وتقييم تأثير مساعدات النقد والقسائم مستقبلاً.

التوصيات الرئيسية:

- **المساعدة المستقبلية:** أوصى المستفيدون بمواصلة استخدام المساعدات النقدية والقسائم وتقديم مساعدات تكميلية لتلبية احتياجات الناس بفعالية أكبر.
- **النهج الشامل:** إعداد برامج بناءً على فهم شامل لاحتياجات الناس وأولوياتهم بما يسمح بتحقيق أهداف الرفاهة، مع مراعاة رغبات الناس المعيشية وتطلعاتهم وكيفية مساهمة المساعدات الإنسانية في تحقيق ذلك.
- **الدعم المتكامل:** إضافة مساعدات تكميلية مثل الأدوية، والرعاية الصحية، والغذاء، ومستلزمات النظافة، وسبل المعيشة لتعزيز أثر المساعدات النقدية.

> جاءت المساعدات النقدية كقطرة ماء في فم العطشان